مطرانية الروم الأرثوذكس في بيروت

Orthodox Archdiocese of Beirut

الرسالة

(٢ كورنثوس ١١:٣١–٣٣؛ ١٢:١–٩)

يا إخوةُ قد علِمَ اللهُ أبو ربِّنا يسوعَ المسيحِ المباركُ إلى الأبدِ أنّي لا أكذِبُ* كانَ بدمشقَ الحاكِمُ تحتَ إمرَةِ الملكِ الحارثِ يحرُسُ مدينةَ الدمشقيينَ ليقبِضَ عليَّ* فدُلِّيتُ من كُوَّةٍ في زِنبيلٍ من السورِ ونَجَوْتُ من يديْهِ* إنَّه لا يُوافِقُني أن أفتَخِرَ فآتي إلى رُؤى الربِّ وإعلاناتِه* إني أعرفُ إنساناً في المسيحِ منذُ أربعَ عشْرَةَ سنةً (أفي الجسدِ لستُ أعلمُ أم خارجَ الجسدِ لستُ أعلمُ. اللهُ يعلمُ) اختُطِفَ إلى السماءِ الثالثةِ* وأعرِفُ أنَّ هذا الإنسانَ (أفي الجسدِ أم خارجَ الجسدِ لستُ أعلمُ. اللهُ يعلمُ)* اختُطِفَ إلى الفردوسِ وسمِعَ كلماتٍ سِرِّيَّةً لا يحِلُّ لإنسانٍ أن ينطِقَ بها* فمن جهةِ هذا أفتخِرُ. وأمَّا من جهةِ نفسي فلا أفتخِرُ إلاَّ بأوهاني* فإني لو أردتُ الإفتخارَ لم

إبن أرملة نايين

يبدأ الإصحاح السابع من بشارة لوقا، ومنه القراءة الإنجيلية لهذا اليوم، بشفاء الرب يسوع لعبد قائد المئة في كفرناحوم، والذي كان «مريضاً مشرفاً على الموت» (٧: ١–١٠). في اليوم التالي لحادثة الشفاء هذه يمضي السيد ومن معه إلى نايين، القائمة على سفح جبل حرمون والمجاورة لشونم حيث أقام أليشع النبي ميتاً ابن أرملة على ما في سِفر الملوك الثاني (٤:٣٦).

في ذهابه إلى نايين كان مع الرب يسوع «كثيرون من تلاميذه وجمعٌ غفيرٌ»: مشيئة الرب هذه المرة كانت أن يكون للآية العظيمة المقبلة شهود كثيرون. المعجزة هنا ليست شفاءً كسابقتها بل إقامة ميت، والرب يسوع هنا لا يستجيب لطلب بل يبادر. عن هذا يقول القديس غريغوريوس النيصصي إن السيد له المجد يحكي لنا بهذه الآية عن قوة الحياة الكامنة فيه، وعن مفهوم القيامة كهبة مجانية هو معطيها. «فلما اقترب إلى باب المدينة»، ونايين كسائر المدن آنذاك مسوَّرة والمقابر خارجها، يلتقي الموكبان: موكب الموت وموكب الحياة. الجنازة تبكي شاباً وحيد أمه الأرملة، أي من كان سندها الباقي الوحيد، وجميع مرافقي يسوع يتبعون فيه الفرح والرجاء. يلفتنا هنا كيف أن الإنجيلي لوقا، بكلمتي «وحيد لأمه وكانت أرملة»، يصور حجم الفاجعة وهول وقعها: أم أرملة تفقد ولدها في صباه، الذي ما أرضعت ولا ربّت سواه، والمتبقي من حياتها لا يبشر إلا بالوحدة المرة والحزن القاتل. «فلما رآها الرب (تتقدم الجنازة) تحنن عليها وقال لها: «لا تبكي». لقد سبق لكل منا، بلا ريب، أن تحنن لحزن مفجوع وقال له العبارة نفسها، لكن فعل العبارة هنا يختلف. كلمة المواساة من فم الرب لها فاعلية وقوة: لا تحزني فأنا – سيد الحياة والموت – هنا وحيث أكون أنا لا يكون موت. الرب يسوع تحنن على الفاقدة وحيدها، وهو الوحيد لأمه سوف يسير يوماً إلى خارج المدينة، أداة موته على كتفيه والجموع الهازئة في إثره، وأمه المفجوعة تنظرُ إليه، ليوكل إليها كل الذين سوف يشتريهم بموته. بالعودة إلى عبارة «لا تبكي»، يعلّمنا الإنجيل هنا أن من قال هذه العبارة مواسياً، وفي قلبه إيمانٌ صَلْبٌ حقيقي بالرب

العدد ٢٠٠٧/٤٠

الأحد ٧ تشرين الأول

تذكار القديسَين الشهيدَين

سرجيوس وباكخس

اللحن الثاني

أكـن جـاهـلاً لأنّـي أقـولُ الحقَّ. لكنّي أتحاشى لئلاَّ يظُنَّ بي أحدٌ فوقَ ما يراني عليه أو يسمعُه مني* ولئلاَّ أستكبرَ بفَرطِ الإعلاناتِ أُعطيتُ شوكةً في الجسدِ ملاكَ الشيطان ليلطِمَني لئلاَّ أستكبرَ* ولهذا طلبتُ إلى الربِّ ثلاثَ مرَّاتٍ أن تُفارِقَني* فقالَ لي تكفيك نِعمتي. لأنَّ قوَّتي في الضُّعفِ تُكمَلُ* فبكُلِّ سرورٍ أفتخِرُ بالحريّ بأوهاني لتستقرَّ فيَّ قوَّةُ المسيح.

الإنجيل

(لوقا ٧: ١١–١٦)

في ذلك الزمانِ كان يسوعُ منطلقاً إلى مدينةٍ اسمُها ناينُ وكان كثيرون من تلاميذِه وجمعٌ غفيرٌ منطلقينَ معهُ* فلمَّا قرُبَ من بابِ المدينةِ إذا ميِّتٌ محمولٌ وهو ابنٌ وحيدٌ لأُمِّه وكانت أرملةً وكان معها جمعٌ كثيرٌ من المدينة* فلمَّا رآها الربُّ تحنَّنَ عليها وقال لها لا تبكي* ودنا ولمسَ النعشَ فوقف الحاملون. فقال أيُّها الشابُّ لك أقولُ قُمْ* فاستوى الميِّتُ وبدأ يتكلَّمُ فسلَّمهُ إلى أمِّه* فأخذ الجميعَ خوفٌ ومجَّدوا اللهَ قائلينَ لقد قامَ فينا نبيٌّ عظيمٌ وافتقدَ اللهُ شعبَهُ.

يسوع، تستحيل مواساته قوة حياة مستمدة من الرب مصدر الحياة نفسه.

ثم تقدّم «ولمس النعش فوقف الحاملون». لو لم يكن في لمسة السيد قوة وسلطان لما وقف الحاملون. مسيرة الموت تجمدت لما اقتحمها السيد. عن هذا يقول آباؤنا القديسون إن السيد أراد، من لمسه النعش، أن يكشف لنا عن القوة الكامنة في جسده الإلهي، جسد الكلمة ابن الله. هذا هو الجسد المُعطى لنا في الإفخارستيا الذي كما الحديد متى اتحد بالنار ينقلها، ينقل إلى المتحدين به قوة الحياة التي في الكلمة وغلبته على الموت. بعدما جمّد السيد مسيرة الموت، خاطب الميت آمراً «أيها الشاب لك أقول قم». زهرة الشباب ورجاء شيخوخة أمه، وحيدها الذي كان مزمعاً أن يكمل نسل أجداده، أسقطته قوة الموت، لكن الأمر الإلهي أقامه. لعل الشاب هنا يرمز إلى الإنسان الأول الذي أسقطه الموت وهو بعد في أول الطريق، وهو الذي خُلق ليكمل في الخليقة صلاح الخالق. لكن وقبل أن يُدفَن إلى الزوال النهائي يعترضه الكلمة المتجسد، خارج أسوار المدينة، ليقول له بسلطان الآمر «قم». الجواب فوري، فلا الموت ولا أي سلطان آخر يقوى على أمر الرب، ولعل إفاقة نائم من نومه تأخذ وقتاً أكثر مما احتاجه الميت ليقوم. أليشع لأجل إقامة الميت صلّى، وكذلك إيليا، لكن الرب أمر فاستوى الشاب على محمله «وبدأ يتكلّم» دليلاً على ملء الحياة.

لا يتوقف الإنجيلي هنا بل يزيد أن السيد دفع الشاب إلى أمه. ذلك أنه بإفلاته من الموت صار الشاب ملكاً للرب الذي لا يحرّر ليقتني بل ليخلّص، لا يفك أسرى الموت إلا ليردهم إلى الحياة. لقد افتدى الرب بموته الإنسان المائت ليرده إلى دوره الأول: إلى ملء الحياة فيه.

شهود يهوه واسم يهوه (٢)

«لذلك رفَّعهُ اللهُ أيضاً وأعطاهُ اسماً فوقَ كلِّ اسمٍ، لكي تجثوَ باسمِ يسوعَ كلُّ رُكبةٍ ممَّن في السماءِ ومَن على الأرضِ ومن تحتَ الأرضِ ويعترفَ كلُّ لسانٍ أنَّ يسوعَ المسيحَ هو ربٌّ لمجدِ اللهِ الآبِ» (في ٢: ٩–١١).

أوضحنا في العدد السابق ان الله لا يُحصر في اسم ما أو صفة ما، وهذا طبيعي لأن الله غير محدود في زمان أو محصور في مكان، بل هو **الكائن** في كل زمان وفي كل مكان. كما أوضحنا ان معرفة الله مرتبطة بعمل ما أو حدث ما وليس باسم، وقلنا ان الأعمال التي قام ويقوم بها الله ليعرّف عن نفسه أمام الشعب هي دائماً أعمال خلاصية. في هذا الإطار يأتي اسم يهوه لكي يعرّف الشعب انه الكائن والدائم الوجود والمخلّص.

السؤال الذي ينبغي طرحه على شهود يهوه هو: إذا كان اسم الله هو فقط يهوه، فلا بد أن يظهر في العهد الجديد كما ظهر في العهد القديم لأن اسم العلم لا يتغيّر، فلماذا لا نجد نصاً واحداً في العهد الجديد يُذكر فيه اسم يهوه؟ جوابنا ان يهوه هو الرب يسوع المسيح. كيف؟

عندما تُرجم العهد القديم من العبرية إلى اليونانية (الترجمة السبعينية) في الإسكندرية في القرن الثالث قبل الميلاد، كي يستطيع يهود الشتات قراءة الكتب المقدسة، تُرجمت كلمة «ألوهيم» بـ«ثاوس» (Theos) أي الله، وكلمة «يهوه»

تأمل

ان من يرى ولده الوحيد الذي علق عليه كل آماله ممدداً في القبر بلا حراك، يجب أن تكون له نفس مؤمنة ليقدر ان يتحمل المصيبة النازلة به، ويضع حداً لتأثراته الطبيعية ودموعه الغزيرة ويردد مع أيوب: الرب أعطى والرب أخذ. من أجل هذه الكلمات فقط يكون مع إبرهيم ويُعدّ مبشراً كأيوب نفسه. وإذا أوقف عويل النساء ومنع صراخ الباكين، يرد الجميع إلى تمجيد الله، ويحصل على مجد عظيم من الله. فالبشر تتعجب منه والملائكة تصفق له والله يعطيه إكليل المجد. ومع ذلك فأنت تقول كيف أقدر ألا أبكي وأنا إنسان؟ إنك بلا شك تقدر إذا فكرت بإبرهيم وأيوب. فالإثنان من البشر وكلاهما تألما ولم يضعفا أمام المصائب البشرية مع أنهما عاشا قبل زمن التعليم والنعمة ولم يقفا على التعاليم والحِكَم الإلهية كما الآن. فإن فكرت ان الراحل قد انتقل إلى محل أحسن وإلى ميراث أفضل، وأنك لم تفقد ولدك بل شيّعته إلى مسكن أهدأ من الحاضر، لا تقل ليس لي من يدعوني أباً! لماذا لا تدعى أباً ما دام ولدك حياً؟ انك لم تفقد ولدك ولم يهلك بل بالعكس صار لك حق أكبر أن تلقب بهذا الإسم! انك تدعى أباً

بـ«كيريوس» (Kyrios) أي رب. أما كتّاب العهد الجديد، لوعيهم بارتباط معرفة الله أو الرب بالعمل الخلاصي الذي يقوم به، فقد حصروا استعمال كلمة ثاوس بالله الآب وكلمة كيريوس (يهوه) بالله الإبن، الرب يسوع المسيح. الرب يسوع هو يهوه العهد الجديد واسمه يدل على ذلك: كلمة يسوع (في اليونانية) هي ترجمة الإسم العبري «يهوشوع» والذي يعني «يهوه يخلّص». لذلك نسمع الملاك يقول ليوسف «فستلدُ (مريم) ابناً وتدعو اسمَه يسوعَ لأنَّه يخلّص شعبه من خطاياهم» (متى ١:٢١).

في العهد القديم، كانت صفة المخلّص ملازمة ليهوه: «أنا أنا الرب (يهوه) وليس غيري مُخلِّصٌ» (اش ٤٣: ١١)، «لأنّي أنا الربُّ (يهوه) إلهكَ قدوسُ إسرائيلَ مُخلِّصُك» (اش ٤٣: ٣). وفي العهد الجديد نقرأ ان الخلاص حصل بيسوع: «...فليكن معلوماً عندَ جميعِكم وجميعِ شعبِ إسرائيلَ أنَّهُ **باسمِ يسوعَ المسيحِ** الناصريِّ الذي صلبتموهُ أنتم، الذي أقامهُ اللهُ من الأمواتِ، بذاك وقف هذا أمامكم صحيحاً. هذا هو الحجرُ الذي احتقرتموهُ أيُّها البنَّاؤونَ الذي صارَ رأسَ الزاويَّةِ، **وليسَ بأحدٍ غيرِهِ الخلاصُ**. لأن ليسَ اسمٌ آخرُ تحتَ السماءِ قد أُعطيَ بينَ الناسِ به ينبغي أن **نخلُص**» (أع ٤: ١٠-١٢)، «لأنَّكَ إن اعترفتَ بفمِكَ بالرَّبِّ يسوعَ وآمنتَ بقلبِكَ أنَّ اللهَ أقامهُ من الأمواتِ **خَلَصتَ** »(رو ١٠:٩). إذا كان يسوع هو المخلّص فهذا يعني انه هو يهوه. لكن، وكما كنا نقول دائماً، لا يعترف شهود يهوه بألوهة الرب يسوع وانه مساوٍ للآب في الجوهر. لعلّهم لم يقرأوا ما قاله الله عن يسوع على لسان الأنبياء في العهد القديم وثبته مع الرسل في العهد الجديد: «هوذا العذراءُ تحبَلُ وتلِدُ ابناً ويدعونَ اسمهُ عمَّانوئيلَ الذي تفسيرهُ اللهُ معنا» (متى ١: ٢٣). فكيف يكون يسوع معنا دون أن يكون هو الله؟ كيف يقول يسوع للتلاميذ بعد القيامة «ها أنا معكم كلَّ الأيامِ إلى انقضاءِ الدهرِ» (متى ٢٨:٢٠) إن لم يكن هو الله؟ مَن لا يعترف بيسوع انه رب فهو لا يحوي بداخله الروح القدس: «ليسَ أحدٌ يقدِرُ أن يقولَ يسوعُ ربٌّ إلاَّ بالروحِ القدسِ» (١كور ١٢:٣).

مَنْ يقرأ العهد الجديد يلاحظ ان الأسماء والصفات التي كانت تطلق على الله في العهد القديم استعملت في العهد الجديد للإشارة إلى يسوع لإثبات انه هو الله يهوه: «أنا هو الألِفُ والياءُ» (رؤ ١:٨)، «أنا هو الأولُ والآخرُ» (رؤ ١: ١٧) (راجع اشعياء ٤٤:٦). أما في ما يختص بكلمة الكائن (الترجمة الحرفية لكلمة يهوه) فقد أطلقها الرب يسوع على نفسه: «الحقَّ الحقَّ أقولُ لكم قبلَ أن يكونَ إبرهيمُ أنا كائنٌ» (يو ٨: ٥٨). هذا الكلام دفع اليهود إلى أن يرفعوا «حجارةً ليرجموه» (يو ٨: ٥٩) لأنهم يعرفون الكتب المقدسة ويعرفون ان تعبير كائن هو خاص بيهوه، لذلك بدا لهم كأنه يجدِّف، لأنه ساوى نفسه بالله.

الكنيسة الأرثوذكسية وعت ان يسوع هو الكائن، يهوه، لذلك نرى عبارة O WN أي الكائن حول رأس السيد في الأيقونات الأرثوذكسية، لأن الكنيسة تؤمن ان الرب يسوع هو الكائن وهو الرب والمخلّص.

لا لولد ميت بل لولد عديم الموت، أباً لجندي بطل لم يزل كائناً في بيت الله. فلا تفكر بأنه هلك إذا لم يتظاهر لك! فلو كان الآن في سياحة لما أفقدك وجوده بالجسد العلاقات الوالدية! لا تمعن نظرك في وجه الراقد فإن هذا يثير الحزن، بل ارفع نظرك إلى السماء. ليس هذا الجسد الفاقد الحياة ولدك بل ولدك قد طار وصعد إلى علوّ لا يحدّ.

وهكذا إذا نظرت إلى عينيه المطبقتين وفمه المغلق وإلى جسده الهامد بلا حراك، لا تفكر ان تينك الشفتين لا تتكلمان بعد، وهاتين العينين لا تنظران أكثر، وهاتين الرجلين لا تمشيان، والجسد كله سيفسد. لا تحاكم هذه الفكرة، بل قل ان الفم سينطق بكلام أفضل، والعينين سيبصران أحسن، والقدمين سيسيران يوماً ما على السحاب. وهذا الجسد الفاني سيلبس جسداً عديم الموت، وسوف تحصل على ولدك في حالة أفضل وأبهى من الحاضرة. وإن كانت رؤية جسده الآن تسبب لك ألماً فقل لنفسك: ان هذا الجسد لباس قد خلعه عنه لكي يحصل على أثمن منه، هذا الجسد بيت هدمه ليدخل إليه النور.

القديس يوحنا الذهبي الفم

الصلاة والأعمال الصالحة

سُئل شيخٌ: هل يستفيد من صلوات الآباء الذين يتهاونون بأنفسهم؟ فأجاب: «إن الطلبة الفعالة تقتدر كثيراً لدى البار» (يع ١٦:٥) أي إذا اهتم وساهم ذلك الذي يطلب. فالمساهمة هي أن يحفظ الطالب نفسه من الأعمال والأفكار الشريرة باجتهاد وقلب متوجّع.

فإذا كان الإنسان لا يكترث لنفسه في هذه الحياة، لا ينتفع من صلوات الآخرين مطلقاً، حتى ولو كان القديسون يصلّون من أجله. لأنه ما الإفادة، كما يقول المَثَل، إذا كان أحد يبني وآخر يهدم، سوى التعب؟ إثباتاً لهذا الرأي جاء بالمثل التالي: كان لأحد الأديار أب قديسٌ. وكان هذا الأب مزيّناً بجميع الفضائل خاصة بفضيلتي التواضع واللين، وكان رؤوفاً ومحبًّا للخطأة. كان يطلب إلى الله ويقول: أعرف أيها الرب أني إنسان خاطئ، لكني آمل بأني سأخلص برأفاتك ورحمتك. فأطلب إلى صلاحك، أيها السيّد ألاّ تفصلني عن رعيّتي، بل أهلني وإياها لميراث ملكوتك السماوي يا ذا الصلاح الذي لا يوصف. وإذ كان يردّد هذه الصلاة باستمرار تحنن الله عليه وأظهر له نتيجة صلاته بالحدث التالي:

لما اقترب احتفال عيد أحد الأديار المجاورة جاء بعض من رهبان ذلك الدير ودعوا الأب مع رهبانه للإشتراك بعيد ديرهم. أمّا هو فاعتذر منهم لعدم مقدرته الإشتراك. فلما جاء المساء وذهب إلى قلاّيته ونام سمع صوتاً يقول له: اذهب إلى الاحتفال، لكن أرسل رهبانك قدامك، وبعد أن يقطعوا مسافة من الطريق إنطلق وراءهم وحدك.

وفي اليوم التالي بينما كان رهبانه ذاهبين للإشتراك بعيد الدير صادفوا في الطريق ملاكاً بشكل رجل مريض فقير يبكي وينوح. فتوقفوا عن السير وسألوه: ما حاجتك يا عم؟ فقال لهم: إني مريض، وقد رماني الحمار بينما كنت راكباً عليه وتركني طريحاً وذهب، وها إنه ليس لي معين فأجابوه، إننا مشاة، يا عم، ماذا نقدر أن نفعل لك؟ ثم تركوه ومشوا.

بعد قليل وصل إليه أبوهم ورآه مطروحاً على الأرض متأوّهاً وبعدما سأله عن حاجته قال له أما مرّ عليك رهبان وشاهدوك على هذه الحالة؟ فقال له نعم، لكنهم مذ عرفوا حاجتي قالوا لي إننا مشاة، ماذا نقدر أن نفعل لك، ثم ذهبوا.

حينئذ سأله الأب: هل في إمكانك أن تمشي قليلاً؟ فأجاب: لا، فقال له الأب دعني إذاً أحملك وأمشي والله المعين. فقال له الرجل، هل في إمكانك أن تحملني مسافة طويلة كهذه؟ شكراً، شكراً، اذهب وصلِّ من أجلي. فأجابه الأب، لن أتركك. سأضعك على هذه الصخرة وأحملك. ثم باشر بالعمل. وبعدما أنهضه على كتفه ومشى شعر في البداية بثقل رجل طبيعي، لكنه بعد ذلك أخذ يخف ثقله، مما سبّب له الحيرة والذهول، وما هي إلاّ لحظات حتى اختفى عنه بالكليّة.

وبينما هو في هذه الحالة سمع صوتاً قائلاً له: لا تتعجّب، إن ما حصل لك كان كلّه بسبب طلبك المتواصل من أجل تلاميذك الذين تود أن يؤهّلوا معك لملكوت السموات. أرأيت بعينيك الفرق بينك وبينهم؟ فاذهب وحثّهم على الاقتداء بك فتُستَجابَ دعوتك. إني حاكم عادل، أُعطي كل واحد حسب أعماله.

بالامكان الإطلاع على النشرة أسبوعيًا على صفحة الإنترنت:

www.quartos.org.lb